



النساج الجديد

البؤساء

ترجمة الاستاذ منير البعلبكي

منشورات دار العلم للملايين - ستة اجزاء

العنوان وحين ينتهون من قراءتها بالاعجاب . ذلك انه على خلاف الشاعر الذي يصف لك مشاعره ويريدك على ان تحياها معه متذكراً انها دوماً له ، وعلى خلاف الكاتب الذي يبسط لك اراءه ويريدك على ان تقتنع بها مع بقائها آراءه غير متنازل عن نسبتها اليه . على خلاف هذا وذاك كاتب القصة ، فهو يصف لك اجواء ويروي لك احداثاً قد يكون اختلقها اختلاقاً او قدّها من ذات نفسه او من تجاربه ، ولكنه يجهد كل الجهد في ان يقنعك بانها اجواء قصته واحداث ابطال قصته وان ليس له منها غير حق الرواية . وعلى قدر فوزه في اقناعك بذلك يكون نجاحه في محاولته وابداعه في فنه .

ولست في سبيل تبين قيمة البؤساء كقصة بعد ان احتلت ، عند اجيال القراء المتعاقبة منذ نحو من مائة عام ، مكانتها في قمة الادب العالمي واسبق عليها وصف الكلاسيكية وهي رائعة من روائع الرومانتيكية . من الطبيعي ان يندمج القارىء في جوها وينسى نفسه بين احداثها . ولكن الاستاذ منير البعلبكي الذي ترجم هذه القصة الى العربية قد تصرف في ترجمته كأنما اراد ان يخرج القارىء ، متعمداً ، وفي كل صفحة من صفحات القصة ، من جو الرواية الذي يعيشه والذي ينقله اكثر من مائة عام الى الوراء وآلاف الاميال الى الغرب ، لافتاً نظره في كل لحظة الى انه انما يقرأ ترجمة لقصة غريبة عنه وضعها كاتب بعيد منه . يبدو هذا التصرف من الاستاذ البعلبكي في الحواشي والشروح التي تزدهم بها صفحات الكتاب وتكاد ان لا تخلو منها صفحة واحدة . وقد اشار الاستاذ البعلبكي نفسه الى ان ترجمته هذه العربية هي وحدها ، بين الطبقات المختلفة للنص الفرنسي والترجمات العديدة للبؤساء في سائر اللغات الحية ، التي تنفرد او تمتاز بشروح مثل هذه الشروح . فهل مر في خلد الاستاذ المترجم ان هذه الميزة التي تحامها قبله مؤلف الرواية ومترجموها انما تحاموها لغرض ؟ قد يكون هذا الغرض ان لا ينقصوا على القارىء اندماجاً في جو القصة ومعايشته لابطالها في الوان الحياة التي يحيونها بين سطورها .

بدأت قراءة « البؤساء » في ترجمتها الجديدة الفريدة التي اصدرتها دار العلم للملايين والقلم في يدي ، وفي نيتي ان اعدد المآخذ واسجلها للنقد . وهكذا خطت خطأ تحت « رأى الى » في قول مسيو ميريل : « مولاي انك لتري الى رجل ساذج ، واني لارى الى .. الخ » . وخطاً اخر تحت كلمة Palabres الواردة بالفرنسية في المتن العربي . وثالثاً تحت كلمة « سو » التي وددت لو انها ترجمت بكلمة فلس .. وخطوطاً اخرى في مواضع اخرى . ولكن قلبي لم يطاوعني في المضي الى اكثر من صفحات معدودة من الجزء الاول من هذه الترجمة الكاملة لهذه الرائعة الكلاسيكية . ذلك اني نسيت نفسي ناقداً فلم انتبه اليها الا وانا التهمهم صفحات الكتاب التهاماً ، متوقفاً في تشوق ما تحمله الصفحات المقبلة من حلول لمشاكل الاسقف ميريل التي تخلقها له طبيته ومن منافذ المآزق التي يتردى فيها جان فالجان ، متأثراً متأثراً يكاد ان يبلغ حد الاستعبار ، كيف وقع في يده لأول مرة رواية رومانتيكية ، بمواقف الاسي الممض التي تقفها فانستين وكوزيت ، متابعاً في شغف المآخوذ ذلك الوصف الانساني الرائع لمعركة واترلو ، وصفاً تتقارع فيه بوارق البطولة الحلق مع بهارج المجد الزائف ، وآلام الجموع الذبيحة مع ايجاد القادة الجلادين ، وتصاريف القدر مع خطط العباقرة ، وحقائق التاريخ مع شطحات الخيال .

والحق اني شغلت بالبؤساء انفسهم عن نيتي في نقد ترجمة قصتهم . ولعل الاستاذ منير البعلبكي ، هذا الذي رضي لنفسه ان يقوم بهذا العبء الثقيل في ترجمة رائعة فيكتور هيغو ، يرضى عني اذا قلت له اني نسيت جهده في الترجمة ، فلم اقدر هذا الجهد حق قدره الا بعد ان فرغت من قراءة الاخير من الاجزاء الستة التي اخرجها للناس حتى الآن . بل لعل فيكتور هيغو ، ومثله مثل كل روائي وكل كاتب قصة ، اكثر رضى عن نفسه اذا نسيه الناس اثناء قراءة قصته فلم يذكرها جهده فيها الا حين يرون اسمه تحت

صراخ في ليل طويل

رواية لجبرا ابراهيم جبرا

مطبعة العاني - بغداد - ١٠٤ ص

يخيل إلي ان الناقد في هذا الكتاب يحتاج إلى عدّة أحدت وأمضى من العدّة المألوفة التي يستخدمها المعلقون على الكتب عندنا . فمن قراءة ما تكتبه الاكثرية من هؤلاء المعلقين يستشف المرء فهماً يقصر عن العمق - فهماً لا يحيط بقضية القصة من نواحيها الكثيرة . فالتقنية في هذا الكتاب تكاد تكون امرأ لا عهد للقصة العربية به ، لانها تعتمد على سرد ذي محتويات كثيرة . ولا بد من رؤية هذه المستويات المتباينة التي يعرضها الكاتب لنا في وقت واحد ، قبل ادراك البراعة الفنية التي ركبت بها القصة .

« صراخ في ليل طويل » قصة ليلة واحدة . ولكن الليل هنا ، فضلاً عن كونه حقيقياً نكاد نشعر بمرور الساعات فيه ، هو ايضاً ليل رمزي . انه ليل الخنة ، ليل التجربة القاسية ، الليل الذي تجتمع فيه ظلمات بأس منسحب . وما القصة الا توغل في شعاب هذا الليل . وهو ليس ليل فرد واحد فحسب ، اسمه امين سماع ، زلقت رجله على حافة الهاوية ، بل انه ليل عاشت فيه اسرة ، كأسرة ياسر ، قروناً متواليه . إنه ليل الفرد وليل المجموع .

فالقصة في سيرها العام عبارة عن نزول الى الجحيم - وهو نزول الى امكنة العذاب قبل النجاة الى الطرف الآخر من الحياة . ومعظم القصة التي تركت اثراً في الادب الروائي ، ليست الا ضرباً من هذا النزول الى الجحيم . انها رحلة ليلية لا بد منها قبل بلوغ النهار في الطرف الآخر البعيد .

واعلم هذا هو السبب في ان امين ، في كل كلمة يقولها ، يضع جزءاً من نفسه . وهو دائماً جزء ذو وجهين على الأقل ، مشرق ومظلم . ويشهد الاشرار وتشتد الظلمة بالمقابلة بينها باستمرار . ولا شك في ان المؤلف ، جبرا ابراهيم جبرا ، انما يشير الى طريقته في سرد قصة امين ، حين يجعله يقول : « بعد

اذا كان شيء مثل هذا قد مر في خلد الاستاذ البعلبكي فلا بد انه قد وزن ، في الجهد الكبير الذي تكلفه في تحقيق هذه الشروح والجري وراء مظاهرها ، بين الفائدة التي يجنيها القارئ العربي من الامام بتراجم الشخصيات التي يستشهد بها فيكتور هيجو او يتمثل بواقفها في التاريخ والفن والادب وبين الهزات التي تعكر انصرافه الى متابعة احداث القصة حين يحول بصره من السطور في اعلى الصفحات الى النجوم في اسفلها ، فرجحت عنده ، عند الاستاذ البعلبكي اعني ، كفة العلم على كفة المتعة وامانة الباحث على ايجائية الروائي .

ان اتقان الترجمة والجهد في حسن اخراج الاثر الروائي وحسن انتقاء الرائعة المعدة للترجمة بين الآثار الادبية العالمية ، وكلها عادة عودتنا عليها دار العلم للملايين ، قد تجلت على خير صورة في ترجمة البؤساء هذه التي هي بين ايدينا . وان جهد الاستاذ منير البعلبكي في اخراج هذا الاثر ، جهده في الترجمة بالاسلوب العالي وفي الشروح الدسمة على منفصاتها ، جهد يقل فيه الشكر جزاء ويصل فيه الاعجاب الى حد العجب من قدرة الاستاذ البعلبكي على وفرة الانتاج على هذا المستوى من الوفرة والقوة . وليس لنا بعد هذا ونحن في ارتقاب صدور اجزاء البؤساء المقبلة من دار العلم للملايين وبقلم الاستاذ منير البعلبكي الا ان نحمد حظ القارئ العربي ان اتاحت له في غمرة تعطشه للقراءة دار لا يفرحها الريح الهين بتقديم النقايات ومسوخ الروائع ، ومتوجهم يأخذ على عاتقه ما تنوء به العصبه من اولي العزم فيحقق ظن المحسنين به الظن ويزيد في التحقيق على ما وعدوا .

عبد السلام العجيلي

الرفقة - سورية

الى الاساتذة والمربين

قبل ان تقرروا كتب المطالعة لطلابكم

راجعوا سلسلة

قصص للشباب والطلاب

وتقع في أربعة اجزاء مصورة

دار العلم للملايين

عدد «الفنون» الممتاز

أوفى الدراسات عن حالة الفنون المعاصرة في الغرب

ان عانيت ما عانيت زمناً ، حاولت ان اجد موقفاً من الحياة يتعادل فيه الربح والخسارة ، الامتلاك والاملاق ، ويكون لكل منها في حياة الفرد غرضاً مماثل وقيمة متساوية ؛ ولكن كان علي ان اجد النقطة التي تتوازن فيها الاضداد ، والشكل الذي تترتب فيه الالوان ، قاتمها وزاهيها ، بانسجام . ففقت افعل ذلك عن طريق الكتابة ... »

فهذه الومضات او الارتدادات الزمنية ، التي تسمى بالانكليزية Flashbacks ، انما هي القطع او « الاضداد » التي يحاول البطل ان يوازن بينها (حتى الزهور الصفراء التي تقترن بالموت فيما بعد بلهبب الشمس وتصبح « شارة للنضارة والحياة ») . وهذا الضرب من الكتابة في القصة العربية ، فيما اعلم ، جديد ، تتجلى فيه اهمية الزمن في التكنيك القصصي . اننا نرى الزمن هنا على مستويين اثنين : المستوى المستمر (الواعي) من نقطة الى اخرى (من المساء الى الصباح) ، والمستوى المنقطع (اللاواعي) الصاعد النازل في اغوار الماضي - اغوار التجربة - التي تشكل تضاريسها الخفية شكل السطح الذي نراه . وهذه طريقة في السرد نجدها في روايات فرجينيا ولف وفوكنر ، وتمت بصلة قوية الى حيمز جويس في كتابه « يوليسيس » .

ثم ان صاحب هذه القصة - وهنا نأتي الى المستوى الفكري - يجمع الى السرد حواراً يمتاز به قصصه الكثيرة الاخرى . وهو حوار جماعة من الاذكياء (تتخلله الارتدادات الزمنية) رأينا مثله في قصصه التي اذكر منها « السيول والعنقاء » و « اصوات الليل » و « نوافذ مغلقة » و « عرق » مما نشره في مجلتي « الاديب » و « الآداب » . ولعلنا هنا نرى تأثير الدس هكسلي الذي تتخلل رواياته كلها

احاديث مسهبة عن الحضارة والدين والفن وغيرها . غير ان جبراً يصل حواراً بتحليل نفسية المحدث او تحليل المجتمع الذي يعيش فيه . والمجتمع الذي نراه في « صراخ » مجتمع مفصوم ، يقف فيه الفقر موازياً للثراء ، والانتقال فيه من الاول الى الثاني ، او بالعكس ، هو انتقال عسير يكاد يشطر شخصية المنتقل الى شطرين . فامين سماع في الواقع مصاب بهذا الانقسام في الشخصية ، وهو انقسام تبرزه سمية هربها من امين ، ولكن شخصيته تهود فتلتم بشقيها حين تعود اليه سمية فيدرك انه لن ينجو الا برفضها .

ان في « صراخ » سخرية وكثيراً من المرارة ، وقد وضعها المؤلف في اسلوب صلب ، يتفق وشخصية البطل الذي يسرد القصة ، فهو يتحاشى المبالغة اللفظية ، ويسمح للعاطفة بان تسير في مسارب تشدد قوتها بكبحها . انه يلقي بنا في الشارع رأساً ، لتلقى الفتاة الغامضة التي تشير الى حداثها قائلة : « انظر ! » ، والشريطي الباحث عن بطاقات الهوية (وسكان فلسطين ايام الانتداب البريطاني ادرى بمعنى ذلك) وصاحب المقهي والمتسول الذي يقذف به الظلام عند اقدامنا ليلتقط عقب السيكرة ، والغريب المقبل علينا

بعض سلاسل

لجنز الكايف الكرسي

بيروت

المروج : سلسلة كتب حديثة في القواعد

الجزء الاول ١٠٠ ق.ل الجزء الرابع ١٧٥ ق.ل

» الثاني ١٤٥ » » الخامس ١٩٠ »

» الثالث ١٧٠ » » السادس ٢٢٠ »

يلحق بهذه السلسلة كتاب « المروج الملونة » وقد اعد خصيصاً لحدائق الاطفال وثمانه ٥٥ قرشاً .

الجديدي في دروس الحساب : سلسلة كتب حديثة في الرياضيات

الجزء الاول ١٢٥ الجزء الرابع ٢٧٥

» الثاني ١٧٥ » » الخامس ٣٥٠ »

» الثالث ٢٢٠ »

الجديدي في قواعد اللغة العربية : سلسلة كتب حديثة في القواعد

الجزء الاول ٩٥ الجزء الثالث ٢٠٠

» الثاني ١٢٠ » » الرابع ٢٥٠ »

« بابلوهات » حبة

من « بوساء » هبجوا الخالد

... ودير النساء العتيق ، بخاصة ، ليس غير تختار من اشد تحنرات
القرون الوسطى عبوساً وإظلاماً . هناك ترتفع في الظلمة مذابح ضخمة
مثل برج بابل ، سامقة كالكتدرائيات . هناك تتدلى من السلاسل ثنائيل
للصلوب ضخمة بيضاء . هناك تستلقي ، عارية على خشب الابنوس ،
ثنائيل للمسيح عاجية هائلة ، دامية لا مخضبة بالدم فحسب ، تنم مرافقها
عن عظامها ، وتنم عظام ركبتها عن اغشيتها ، وتنم جراحها عن لحمها ،
وقد توجت باشواك من فضة ، ووسمرت بسمامير من ذهب ، وبدت على
جباها قطرات دم من ياقوت احمر ، وترقرقت في اعينها دموع من الالامس .
إن البرايق وفتح الالامس لتبدو مبللة ، وانها لتجري الدموع من
مآني مخلوقات محجبات خدشت خواصرها بالانسجة الصوفية الفليظة ،
وبالسياط ذوات الرؤوس الحديدية ، وهضرت ائداؤها بحصر صغيرة
مصنوعة من غصون الصفصاف ، وجلفت ركبتها بالصلاة الموصولة ..

... والحق ان اصرار المؤسسات الهرمة على البقاء الى
الابد اشبه شيء بمناد العطر الزنخ الذي ينشبت بشمرك ،
ودعوى السمكة الفاسدة التي تصر على ان تؤكل ، ولجاجة ثوب الطفل
الذي يريد ان يكسو الرجل ، وحنان الجثث التي تعود لتناق الاحياء .
ان الثوب ليهتم : « لقد صنتكم في عهد ضفكم فلماذا تتخلون عني
الآن ؟ » وان السمكة لتقول : « لقد كنت ذات يوم في اعماق
البحر ! » وان العطر ليصبح « لقد كنت وردة من قبل ! » وان الجثة
لتنتم : « لقد احببتك ! » وان الدير ليقول : « لقد مدنك ! » وليس
لهذا كله غير جواب واحد : « في الماضي » ...

هذه صفحة من صفحات الجزء السابع من الترجمة
الصحيحة الكاملة « للبوساء » بقلم الاستاذ منير المبلكي ،
صفحة تكاد تقع على مثلها في صفحات الجزء المئة
والخمسين كلها ...

صدر حديثاً دار العلم للملايين

ر كلها تفاصيل ، اشبه بتفاصيل فلم سينمائي ، تهيم لنا الجزر .
انها اشياء حقيقية ملموسة ، ولكنها ايضاً - كالليل الطويل -
رموز تتواتر وتتضخم ، الى ان يمس المتسول وصاحب
المقهى وسكان الحي الغريبي بالفيزان جمهوراً هائجاً يقذف
باحد اسلاف آل ياسر في محرقة ملتبهة ... فالاسلوب يبدو
تقريباً ، ولكنه في الحقيقة اسلوب شعري كثير
الرموز ، وليس ما فيه من « تقرير » إلا خدعه قصصية
رائعة .

من بين هذه الرموز اود ان اشير الى رمز المطر . إننا
نجد المطر يبدأ تقريباً كل مرحلة من المراحل المهمة « الحاسمة »
في حياة امين . فهو في كل مرة إذن او تبشير بشي جديد .
انه مقدمة البعث من الموت .

ثم ما هذا « التمثال » الذي تتكرر الاشارة إليه ؟ يتمنى
امين لو يرى تمثالاً في اعلى المدرج في بيت سليمان شنوب ،
ولكن عبثاً . ثم نرى ان سمية بقدها المرمرى تُشبه بالتمثال ،
ولكننا نجد التمثال الحقيقي في حديقة قصر ركزان ، واذا
هو تمثال اغريقي لافروديتي تتمثل فيه مقاومة الفن للزمن :
« اي عواصف ساطتها واي امطار غسلتها واي شمس قبلتها
في مئات السنين العابرة ، وهي واقفة وقفة الغنج تغطي وسطها بيد
مستطيلة الاصابع ؟ » وفي نهاية القصة تقترح ركزان تقديم
التمثال هدية الى امين . فاذا كان التمثال رمزاً للفن ، حق
لنا ان نستنتج ان المؤلف جعل من الفن رمزاً للسعادة الذهنية التي
يبحث عنها البطل ، كما جعل الكتابة « النقطة التي تتوازن
فيها الاضداد » . وهكذا يغدو الفن وسيلة من وسائل
النجاة . ولا ريب في ان القارئ المدقق سيرى رموزاً كثيرة
غير هذه .

هذه القصة المترعة سطرأ سطرأ ، إذن ، بمستوياتها
الكثيرة وتركيبها المعقد الدقيق ، مغنم للقصة العربية
المعاصرة . إنها تعزز مكانة جبرا ابراهيم جبرا في الطليعة من
القصاصين العرب اليوم . ولا بد لي من القول بانني دهشت
جداً حين علمت انه كتبها عام ١٩٤٦ ... تسع سنوات تركها
مطوية بين اوراقه ...

حسن نافع الدلمي

بغداد